مجلة الشرق الاوسط للدراسات الانسانية والاجتماعية
Middle East Journal for Humanities and Social Sciences
https://qabasjournals.com/index.php/mjhss

حقوق الإنسان أم ضرورات

أ.م.د.أياد كامل الزيباري، جامعة جامعة زاخو/ فاكولتي العلوم الإنسانية /قسم الدراسات الإسلامية
البريد الالكتروني: Ayad.kamil@uoz.edu.krd

المقدمة:
:خلق الله الانسان في احسن تقويم، وكرّمه غاية التكريم، وفضّله على سائر المخلوقات، وجعله خليفة في الأرض، وقال تعالى (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم لأحسن عملا)الملك 2، وقال (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْ ضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)الكهف13.والكلام عن حقوق الانسان كلام عن الذات الإنسانية، وتفصيل لما شرعه الله تعالى من الاحكام ، لتحقيق سعادة الانسان في الدنيا والاخرة، وتامين مصالحه الكاملة بجلب النفع والخير له، ودفع السوء والضرر والشر عنه، ويكون السيد المحترم في الدنيا، والمخلوق المكرّم المعزّز في الاخرة.

وإن حماية حقوق إنسانية الانسان، هو مقصد الشريعة الإسلامية وغايتها، ذلك أن الشريعة إنما جاءت لتحقيق مصالح العباد في معاشهم ومعادهم ،وإن مصالحهم لا تتحقق إلا بحماية الضروريات الخمس(الدين والنفس والعقل والنسل والمال).

-إن حقوق الانسان كثيرة ،ولا تدخل تحت العد والحصر، ولا يوجد شريعة او قانون او نظام او تشريع إلا ويتناول حقوق الانسان ،ولكن حقوق الانسان تختلف-واقعياً وعملياً- من شريعة الى أخرى، ومن تشريع ونظام الى غيره، ومن بلد الى بلد، ومن زمن الى آخر.

***من هو الانسان**: فالإنسان في العصر الروماني وفي الحضارة الرومانية يقتصر على الحكام والإقطاعيين الذين ينحصرون في فئة محدودة قليلة، تتمتع بالحقوق، والباقي عبيد وخدم وتبع، ولا وجود للمرأة والنساء عندهم، ولا حق للرعية والعبيد والأطفال .

والانسان عند النازية مقتصر على العرق الجرماني، ولذلك صنف هتلر البشر الى طبقات ودرجات ،ووزّع الحقوق على هذا الأساس ، ليكون الألماني هو المميز الذي يحتل الدرجة أولى، ويستحق كامل الحقوق.

والانسان في نظر اليهود والصهيونية منحصر في شعب الله المختار، لتكون بقية الشعوب والأمم عبيداً وخدماً وتبعاً.

والانسان في نظر أوروبا وامريكا اليوم مختص بالعرق الأبيض الغربي الذي يستحق كل الحقوق، ويتمتع بالمزايا والأفضلية والتفوق، بل والعنصرية الكاملة ، بينما تلقى القنابل النووية والعنقودية وتُستخدم أفتك الأسلحة على شعوب اليابان وفيتنام وأفريقيا وعلى الشعب الفلسطيني والعراق وأفغانستان، مع توجه الغرب الى استعمار الشعوب ، وفرض الانتداب او الاحتلال المباشر او الوصاية عليها .

وحتى نكون صريحين ، فمن هو الانسان اليوم في معظم الدول، ومنها البلاد العربية والإسلامية؟ فالمواطن هو الانسان الذي يستحق الرعاية ، وتحفظ حقوقه، وتصان مصالحه، ولو على حساب الآخرين ظلماً وعدواناً ،إلا من حظي بالرعاية والأفضلية والتميز من شعوب بعض الدول الغربية، بل إن الانسان في كثير من هذه البلاد يقتصر على طائفة معينة، أو فئة حاكمة ، أو جماعة خاصة، أو اتباع حزب أو تنظيم، فتحفظ لهم الحقوق ، وتصان المصالح ولو على حساب الآخرين.

وهنا تكمن العظمة والسمو، وتتجلى ميزات الإسلام وخصائصه في تعيين الانسان، فهو كل مخلوق يمشي على رجلين، سواء كان رجلاً أن امرأة، حاكماً أو محكوماً، غنياً أم فقيراً، كبيراً أن صغيراً، مسلماً أم غير مسلم، مواطناً أم مقيماً أم أجنبياً، عاقلاً أم مجنوناً، صحياً أم مريضاً، بريئاً أم متهماً أم محكوماً عليه، حتى الجنين في رحم امه، والرضيع في مهده وسريره، والميت في كفنه وقبره، فكل منهم إنسان له حقوقه، ويستحق التكريم والحفاظ على مصالحه وشؤونه التي ترعى بشكل كامل وجوده ثم حقوقه .

***مفهوم حقوق الانسان** :

***ووجوه تكريم الانسان عديدة منها**:

1-استخلافه في الأرض: لقد أعلن الإسلام كرامة الانسان فاعتبره خليفة الله في الأرض وهي منزلة اشرأبت اليها أعناق الملائكة وتشوفت اليها انفسهم فلم يعطوها ومنحها الله للإنسان وهيأه لها بالعقل والعلم الذي تفوق به الملائكة ،يقول تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) البقرة 30.فهي منزلة عظيمة ،منزلة هذا الانسان في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة وهو التكريم الذي شاءه له خالقه الكريم .

2-تكليف الملائكة بالسجود لآدم :لم يقتصر الأمر الإلهي باختبار الانسان خليفة في الأرض بل تأكد ذلك في السماء والجنات العلى، واقترن بالفعل والتطبيق وأعلن الله ذلك في الملأ العلى بإرادته عن خلق آدم واتخاذه خليفة وسجّل ذلك في اللوح المحفوظ وأنزله وحياً يتلى على البشر ثم أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم ،وذكر ذلك في سبع مواضع في القرآن : قوله تعالى(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا ....من الكافرين) البقرة 34. وقوله تعالى (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِي) ص 71-72.وغير ذلك

3-تسخير ما في الكون للإنسان: إن فضل الله على الانسان ونفخته فيه من روحه وتكريمه له على كثير من خلقه هذا الفضل وحده قد اقتضى أن يكون لهذا المخلوق وزن في نظام الكون وحساب، وأن يهيئ الله له القدرة على استخدام الكثير من طاقات هذا الكون وقواه ومن ذخائره وخيراته تحقيقاً لمقتضيات الاستخلاف في الأرض، وسخر لمنفعته العوالم كلها السماء والأرض، الشمس والقمر والنجوم، الليل والنهار، الماء واليابس، البحار والنهار، النبات والحوان والجماد كلها مسخرة لمصلحة الانسان وسعادة الانسان كرامة من الله له ونعمة منه عليه ،وقد وردت في القرآن آيات عديدة تبين هذه المعاني منها : قوله تعالى (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) إبراهيم 32-34. وقوله تعالى(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ، يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ،وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ، وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) النحل 10-13.

4-تكريم الانسان بجعله محور الرسالات السماوية: إن الانسان هو المقصود غاية وهدفاً في ابتعاث الرسل واختيار الأنبياء وإنزال الكتب والصحف...

5-تكريم الانسان بالإيمان :الايمان بالله يمثل أكرم صلة بين الانسان وخالقه ومن ثم كانت الهداية الى الايمان أجل نعمة على الاطلاق، وليس الايمان مجرد النطق باللسان والاعتقاد بالجنان وإنما هو عقيدة تملأ القلب وتصدر عنها آثارها كما تصدر عن الشمس أشعتها وكما يصدر عن الورد شذاه .

وأثر الايمان يبدو واضحاً في خشية الله والخوف منه ، فمن عرف الله وعرف عظمته واستشعر جلاله وكبرياءه ، وعرف تقصير نفسه في الواجب نحو ربه خشية وخاف منه (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) فاطر 28.وكلما كانت المعرفة أكمل كانت الخشية أتم ...

6-تكريم الانسان بالعبادة : يقول تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُوالْقُوَّةِ الْمَتِينُ) الذاريات 56-57. والعبادة هي الخشوع والذل ،وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والأفعال الظاهرة والباطنة .

7-تكريم الانسان بالعقل: لقد كرم الله الانسان بالعقل الذي هو لكل فضيلة أساساً ولكل أدب ينبوعاً ، وقد جعله الله للدين أصلاً وللدنيا عماداً، فأوجب التكليف بكماله وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، وألف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم وجعل ما تعبدهم به قسمين: قسماً وجب بالعقل فوكده الشرع، وقسماً جاز في العقل فأوجبه الشرع فكان العقل لهما عماداً.

8-تكريم الانسان بالعلم: لقد كرم الله الانسان لعلمه وفكره، وذلك ما صرح به القرآن حين حكى قصة خلق آدم (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)البقرة 30. ثم أشار الى سبب التكريم (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ)البقرة 31-33.

***حقوق أم ضرورات** : انتقد الدكتور محمد عمارة استعمال مصطلح الحقوق في الكتابات الإسلامية التي تناولت موضوع حقوق الإنسان في الإسلام، حيث يرى أن لفظ الحقوق هو مصطلح أوروبي، وبفضل مكانه استعمال مصطلح الضرورات، وحسب كلامه :إن الجهود

الفكرية الإسلامية التي بذلت وتبذل في دراسة وبلورة حقوق الانسان في الإسلام، بالرغم من تحلّيها بفضيلة إبراز الذاتية الإسلامية المتميزة في هذا الميدان، نراها قد تبنت المصطلح ذاته الذي وضعه الأوروبيون لهذا المبحث، مصطلح الحقوق، على حين أننا نجد الإسلام قد بلغ في الايمان بالإنسان وفي تقديس حقوقه الى الحد الذي تجاوز بها مرتبة الحقوق، عندما اعتبرها ضرورات ،ومن ثمّ أدخلها في إطار الواجبات .

ويقول الدكتور: أن الحقوق قد يتنازل الانسان عنها، او لا يسعى للحصول عليها، والدفاع عنها، أما الضرورات فهي التي لا سبيل الى حياة الانسان من دونها . ويضيف الدكتور: أن الحقوق المتعارف عليها هي ضرورات لا يحق للإنسان التنازل عنها، فهي في مقام الواجبات التي يأثم الانسان فرداً أو جماعة إذا فرّط فيها، فضلاً عن الإثم الذي يلحق كل من يحول بين الانسان وبين تحقيق هذه الضرورات ،إذ إنها ضرورات لا بد من وجودها، ومن تمتع الانسان بها، وممارسته لها يحقق له المعنى الحقيقي للحياة .

***خصائص حقوق الانسان في الإسلام**:

1-إن واضعها (الحق) وهو الله ... وإن الله هو الذي تفضل بها على الانسان ، وإنها لأعز على الله من بيته الحرام، ومن هذا فحمايتها وصونها ، والذود عنها قربى لله، ومن هنا تتأتى لها حماية، وقدسية لا تتوافر في نظريات الغرب.

2-وجوب الحقوق: فأداء الواجب مقدم على المطالبة بالحق، مثل وجوب الانفاق على الفقراء من الزكاة الواجبة، وحق الجار ،عدم الإيذاء ووجوب الاحسان الى الوالدين ، ووجوب حق الزوجة .

3-التحذير من العدوان على الحقوق: فقد حذر الله وانذر المعتدين على حقوق الغير، وأوعد بعاقبتها السيئة كما في الحديث عن قصاص الحقوق يوم القيامة (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ». قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ)رواه مسلم.

4-الحقوق تحميها الحدود : إن الحقوق الأساسية شرع لها الله حدوداً تردع وتمنع تعديها، فمثلاً أجمع العلماء على أن ضرورات الحقوق الأساسية خمسة (الدين والنفس والعقل والنسل والمال) فانظر الى هذه العقوبات :

فحق الدين ...يحميه حد الردة وحق المال ... يحميه حد السرقة وحد الحرابة وحق العرض ... يحميه حد القذف وحد الزنى

وحق العقل ... يحميه حد الخمر وحق النفس ... يحميه القصاص الحق .

5-التشديد على أن العدوان على الحقوق من أعظم الحرمات :فإن في الفقه الإسلامي أن الامتناع عن المحرمات مقدم على فعل الواجب، ولعل من أهم الأمثلة على ذلك ما أوضحه ،وأبرزه الرسول الكريم يوم حجة الوادع، فقال الرسول الكريم (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ) رواه مسلم .

6-الحث على إعطاء الحقوق والإحسان، مثل الصدقات والحث عليها في الزيادة والحفاظ على حقوق الفقراء ، والإحسان الى الناس وحسن الخلق للعيش في مجتمع آمن يملؤه الحب والإيمان .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

1-صحيح مسلم .

2-الفكر الإسلامي قراءات ومراجعات،زكي الميلاد

3-الديمقراطية وحقوق الإنسان في الإسلام، د.راشد الغنوشي

4-حقوق الإنسان في الإسلام ،د.سعد الدين مسعود هلالي

5-حقوق الانسان ،محمد الغزالي

6-حقوق الإنسان في الإسلام ،د.محمدالزحيلي

7-حقوق الإنسان السياسي في الإسلام والنظم العالمية ،د.ساجر ناصر حمد الجبوري

8-حق الإنسان في الحياة ووسائل حمايته في القانون والشريعة، د.هاشم فارس عبدون